الفصل الثالث

فكرة الجمهورية فى مصر

من ثورة ١٩١٩ الى الغاء معاهدة ١٩٣٦

فى أثناء ثورة ١٩١٩ وبعدها ترددت شائعات تقول ان سعد زغلول يريد قلب نظام الحكم فى مصر الى جمهورية يكون هو رئيسها[١] وأن الملك فؤاد كان يعتقد أن سعد زغلول يريد اعلان الجمهورية ، كما كان كبار الملاك المصريين يعتقدون أن سعد زغلول يريد استبدال الملكية فى مصر بالجمهورية[٢] وقد لمحت احدى الجرائد بذلك فصرحت التايمز بأن لديها وثائق تثبت أنه سيكون من أولى نتائج انتصار سعد وزملائه قلب السلطة فى مصر[٣] كما يتضح من الكتاب الذى نشره أخيرا الكاتب الصحفى مصطفى أمين أن سعد زغلول تكلم عن حق مصر فى أن تكون جمهورية وعن ضرورة عزل السلطان فؤاد[٤] .

والواضح أن الكتابات المعاصرة لتلك الفترة والمذكرات الشخصية التى كتبها المعاصرون وخصوصا مذكرات سعد زغلول ومحمد على علوبة

---

(١) محمد سليمان غنام : اضواء على ثورة ١٩١٩ ، القاهرة ـ دار الفكر الحديث للطباعة والنشر ، ص ٤٥١

(٢) مصطفى أمين : الكتاب الممنوع ، ج ٢ ص ١١١

(٣) الأهرام : العدد ١٣٠٤٩ فى ١١ فبراير ١٩٢٠ تحت عنوان : « وثائق جريدة التيمس » .

(٤) الكتاب الممنوع ، ج ١ ص ٥٣

وعبد الرحمن فهمى وابراهيم الهلباوى لم توضح رغبة سعد زغلول فى اقامة حكم جمهورى وان كانت قد أوضحت رغبته فى الاطاحة بالسلطان فؤاد الذى تولى العرش فى ظل الحماية البريطانية .

فعندما قامت ثورة ١٩١٩ علم سعد زغلول وهو فى منفاه أن بعض البلاد أثناء الثورة أعلنت استقلالها عن السلطة فى القاهرة ، وتألفت فيها حكومات على مبدأ الجمهورية[٥] ففى المنيا تألفت جمهورية برئاسة الطبيب محمود عبد الرازق وقطعت أسلاك البرق والسكك الحديدية مع القاهرة[٦] . وفى زفتى تألفت لجنة برئاسة الاستاذ يوسف الجندى أعلنت الاستقلال عن السلطة فى القاهرة ، وأنزلت العلم الذى يرفع على مركز البوليس ورفعت بدله علم آخر وهو غير العلم الذى يرفع فى القاهرة كما أصدرت هذه اللجنة جريدة باسم الجمهور ، وألفت لجانا فرعية للمحافظة على الأمن وتحصيل العوائد والانفاق منها على مرافق المدينة[٧] .

ولقد أبدى سعد زغلول دهشته مما حدث متسائلا « هل تبدلت الأمة المصرية فى هذ ه البرهة الوجيزة التى مضت من وقت سفرنا من البلاد[٨] .

يذكر مصطفى أمين أن فكرة الجمهورية دارت فى رأس سعد زغلول وناقشها مع أعضاء الوفد المصرى ، ولكن معظمهم رأى أن هذه الفكرة

---

(٥) احمد شفيق : حوليات مصر السياسية ، جـ ١ ص ٢٦٤

(٦) د. عبد اللطيف حمزة : ادب المقالة الصحفية فى مصر جـ ٦ — أحمد لطفى السيد فى الجريدة . القاهرة — دار الفكر العربى ، الطبعة الاولى ١٩٥٤ ص ٥٨

(٧) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ جـ ١ — القاهرة — النهضة المصرية — الطبعة الثانية ١٩٥٥ ، ص ٢١٧

(٨) دار الوثائق القومية : مذكرات سعد زغلول . كراس رقم ٣٥ ص ١٩٢٩

اتجاه جنونى ، فقد رى اسماعيل صدقى أن اعلان الجمهورية سيكون بمثابة كارثة ، وذكر عبد العزيز فهمى « اذا كنا لا نستطيع أن نحتمل سعد كرئيس وفد فكيف نحتمله لو أصبح رئيس جمهورية »[٩] كما رأى أعضاء الوفد من الأعيان أن الاتجاه نحو الجمهورية سيؤدى الى انقضاض الأعيان عن الثورة والى قيام البلشفية[١٠] •

والواضح أن مذكرات سعد زغلول تشير الى رغبة سعد فى تغيير النظام القائم فى مصر دون أن توضح ماهية النظام الجديد الذى يرغبه ، ففى حديث للورد ملنر مع سعد زغلول قال « ان فى مصر نظاما موجودا وأنكم تريدون أن تغيروه فجأة فما هو النظام الذى تريدون أن تضعوه مكانه » فرد عليه سعد « اننا نريد نظاما دستوريا تكون فيه الحكومة مصرية صرفة مؤلفة من برلمان ووزارة مسئولة وحاكم » فقال له ملنر أنه يخشى من حصول اضطراب اذ حدث هذا التغيير فجأة ، ويحدث فى مصر ما حدث فى غيرها من البلاد الشرقية كالترك ، وكما حدث فى مصر نفسها من قبل فكان رد سعد ان الظروف تغيرت ومصر الآن غيرها من أربعين عاما ، ومع ذلك فان اللورد ملنر ذكر له أنه يخشى حدوث الاضطراب فى مصر عندما تتغير أنظمتها فجأة ، وكذلك يخشى من اعتداء الغير عليها كالطليان واليونان وغيرهم[١١] •

ومن ذلك يتضح رغبة سعد زغلول فى تغيير النظام القائم فى مصر بنظام دستورى دون أن يشير اذا كان هذا النظام الدستورى ملكى أو جمهورى فلما أوضح ملنر أن هذا التغيير ربما يؤدى الى حدوث اضطراب كان رد سعد أن ظروف مصر الحالية تختلف عن ظروفها فى أثناء الثورة

---

(٩) مصطفى امين : المرجع السابق ، ج ١ ص ٢٩

(١٠) نفسه •

(١١) مذكرات سعد زغلول : كراس رقم ٣٦ فى ٧ يونيه ١٩٢٠ ، ص ٢٠١٥ — ٢٠١٦

العرابية أى أن الحديث بينهما كان يدور حول المطالبة بدستور مثل الدستور الذى حصلت عليه البلاد أثناء الثورة العرابية .

حقيقة أن سعد زغلول كان يكره تشدد الانجليز فى الاحتفاظ بالسلطان وعدم خلعه[١٢] مؤكدا أن بقاءه على العرش مع كراهية الأمة له سيسبب الاضرار بالبلاد[١٣] ومع ذلك فانه لم يعلن رأيه صراحة عن تغيير نظام الحكم فى مصر الى النظام الجمهورى .

وهنا نتساءل عن من الذى كان سيحل مكان السلطان لو وافق الانجليز على خلعه ؟

يذكر الاستاذ محمد على علوبه أن سعد زغلول كان يسعى الى عزل السلطان فؤاد وتناقش فى ذلك مع أعضاء الوفد فأجابه على ماهر « بأن الموضوع يحتاج الى تفكير »[١٤] ولما سأله أحد الأعضاء عن من سيكون سلطانا بعد عزل فؤاد أجابه سعد « سيكون الرضيع فاروق سلطانا بدل أبيه مع تعيينى وصى عليه »[١٥] ففهم أعضاء الوفد من ذلك أن سعد يرغب فى أن يكون وصيا على عرش طفل عمره بضعة أشهر وسيكون فوق ذلك رئيس الأمة باعتباره رئيس الوفد المصرى فيصبح الحاكم بأمره فى البلاد لذلك لم يجد هذا الرأى ارتياحا من اعضاء[١٦] .

ويذكر عبد الرحمن فهمى أنه بعد اعلان مولد الأمير فاروق أبلغت انجلترا السلطان فؤاد اعترافها بالمولود وليا للعهد فاستاء حزب الوفد وأعرب أنه رغم تمسكه بعائلة محمد على الا أنه يرى فى تدخل انجلترا

---

(١٢) مذكرات سعد زغلول : كراس رقم ٣٨ ، ص ٢١٩٥
(١٣) مذكرات سعد زغلول : كراس رقم ٣٩ ، ص ٢٢٦٨
(١٤) محمد على علوبة : ذكريات اجتماعية وسياسية ، ص ٩٠٠
(١٥) نفسه .
(١٦) نفسه .

فى نظام الوراثة اعتداء على حقوق مصر الشرعية[١٧] .

هذه الدلالات توصلنا الى نتيجة وهى أن سعد زغلول لم يدر فى خلده اعلان جمهورية فى مصر بل كان كل هدفه هو عزل السلطان فؤاد.

واذا أخذنا بصحة الرواية التى تذكر أن الانجليز عرضوا على سعد وهو فى طريقه الى منفاه بسيشل أن يكون ملكا على مصر[١٨] فان تلويح الانجليز بذلك معناه استبعادهم لأى فكر جمهورى لدى سعد زغلول .

وعلى أى حال فقد اضطرت انجلترا أمام اصرار المصريين على الغاء الحماية الى اعلان تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ والتى أعلنت فيه أن مصر دولة مستقلة ذات سيادة فى حدود التحفظات الأربعة ، وظنت بذلك أنها قد سارت خطوة واسعة فى سبيل ارضاء المصرين ، وربما كان الوقت مناسبا ليستشار المصريون فى نظام الحكم الذى يروقهم أما الملكى وأما الجمهورى فالوقت كان وقت اعلان حق الشعوب فى تقرير مصيرها خصوصا وأن نقط ولسون المشهورة كانت لا تزال تدوى فى الأذهان ، ولكن الحكومة الانجليزية ما كانت لتفكر أبدا فى مثل هذا الأمر ، فكان يهمها قبل كل شىء ألا يحدث تغييرا جوهريا فى نظام الحكم لأن النظام الملكى هو أحب النظم اليها ، ولأنها لا تقبل لمصر نظاما شعبيا حقيقيا أو نظاما جمهوريا أو نيابيا حقيقيا يكفل للشعب حقوقه فى حكم نفسه وتوجيه مصير بلاده[١٩]

والجدير بالذكر أن الأحزاب التى تتصارع على الحكم كانت تعتبر الدعوة الى الجمهورية تهمة تتبادل لصقها حينما تشتد الصراعات الحزبية،

---

(١٧) دار الوثائق : مذكرات عبد الرحمن فهمى . محفظة رقم ٢ ، ص ٩٣٥

(١٨) محمد سليمان غنام : المرجع السابق ، ص ٤٥٣

(١٩) د. محمد مصطفى صفوت : الجمهورية الحديثة ، ص ١٩٢

فالاتهامات التى كانت توجهها الأحزاب المعادية لحزب الوفد أنه يدعو للقضاء على النظام الملكى ، وتغذية الرغبة الخفية فى منح مصر نظاما جمهورية ، ففى عام ١٩٢٥ اتهم اسماعيل صدقى أثناء عمله كوزير للداخلية فى حكومة زيور حزب الوفد بأنه يعمل على القضاء على الملكية وأقامة الجمهورية(٢٠) .

وعندما نشر على عبد الرازق كتابه « الاسلام وأصول الحكم بحث فى الخلافة والحكومة فى الاسلام » ثار عليه علماء الأزهر واتهمه الشيخ محمد شاكر أحد كبار العلماء بأنه « يحبذ أن تقوم فى مصر جمهورية لا دينية ، وأنه ثائر على الحكومة وخارج على نظمها الثابتة »(٢١) .

ولما حاول القصر ضرب التجمع الطلابى من المصريين فى أوربا اتهمت المفوضية المصرية ببرلين هؤلاء الطلبة بعدم الولاء لعرش الملك فؤاد والدعوة الى الجمهورية(٢٢) .

ومع أن الشعب المصرى أعطى للنظام الملكى الفرصة لاثبات حسن نواياه فان الملك فؤاد رأى فى أفراد شعبه رعية له يقودها ويحكمها ويوجهها دون أن يسأل عما يفعل ، فالملكية فى مصر لم تعط للشعب المصرى فرصة لحبها أو التعلق بها فالملك فؤاد ومن بعده الملك فاروق تمسكا بضرورة سيطرة الملكية على كافة الأمور الداخلية والخارجية مما أدى

---

(٢٠) مارسيل كولومب : تطور مصر ١٩٢٤ــ١٩٥٠ ، ترجمة زهير الشايب ، القاهرة ــ الطبعة الأولى ١٩٧٢ ص ٩٢ .

(٢١) رجاء النقاش : عباس العقاد ، بيروت ــ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص ٩٩ .

(٢٢) د. محمد أحمد أنيس : صفحات مجهولة من التاريخ المصرى ، القاهرة ، روز اليوسف ص ١٩٢ .

الى انقسام المصريين الى قسمين السراى فى جانب والشعب فى جانب آخر ، كما أن الملكية لم تستطع أن تقف موقفا محايدا بين الأحزاب بل تعاطفت مع فريق على فريق ، وانغمست فى السياسة الحزبية[٢٣] .

وعندما اعتلى فاروق عرش مصر عام ١٩٣٦[٢٤] لم يستفد من دروس الماضى بل تمادى فى سياسة والده ، ولم يجد من يخلص له النصح مما أدى الى اضطراب الأحوال السياسية فى أواخر عهده ، وقد حرص مصطفى النحاس على ألا تتعرض البلاد لهزات فى رمزها الأعلى بعد أن شاعت فى مصر وخارجها مباذل فاروق وسهراته وأصبح رمز البلاد مضغة فى الأفواه فاتفق مع بعض الوفديين على ضرورة عزل الملك عن العرش ، ولما عرض الأمر على مجلس الوزراء أقر الاتجاه .

وتختلف الآراء حول هذا الاتفاق وخصوصا من يخلف الملك اذا تم عزله ، وموقف السفارة البريطانية من ذلك فلكل من الاستاذ صلاح الشاهد والدكتور عبد العظيم رمضان آراء مختلفة حول ذلك الموضوع فيذكر صلاح الشاهد بأنه عهد الى أحمد نجيب الهلالى باشا بأن يصوغ مبررات خلع الملك فأعد بيانا ، وسلمه الى محمود سليمان غنام باشا وزير التجارة الذى ذهب الى مكتبه فأغلقه عليه وحده وأخذ فى تبييض مسودة نجيب باشا ، ولما انتهى من ذلك ذهب الى منزل النحاس حيث كان الوزراء لا يزالون موجودين ، وتم توقيعهم جميعا على البيان كقرار صادر من مجلس الوزراء بخلع الملك فاروق واعلان الجمهورية[٢٥] على

---

(٢٣) د. محمد مصطفى صفوت : المرجع السابق ص ١٩٣ .

(٢٤) عن تفاصيل ذلك انظر مضابط مجلس النواب — محضر اجتماع مجلسى الشيوخ والنواب بهيئة مؤتمر بالجلسة المنعقدة علنا فى ٨ مايو ١٩٣٦

(٢٥) صلاح الشاهد : ذكرياتى بين عهدين ، القاهرة — دار المعارف ١٩٧٦ ص ٣٦ .

أنه بعد أيام توجه عبد الحميد عبد الحق باشا الى منزل النحاس وأبلغه أن قرار عزل الملك قد نما الى علم السفارة البريطانية وأنها تشجع هذا الاتجاه عندئذ طلب النحاس مسودة القرار التى كتبها الهلالى وأشرف على حرقها فى دورة المياه أما قرار مجلس الوزراء المكتوب بخط غنام باشا فقد أخذه عنده وأخفاه ولم يعثر عليه أحد(٢٦) .

ويذكر الدكتور عبد العظيم رمضان استنادا على الوثائق البريطانية أن الوفد رأى ضرورة كسب موقف السفارة البريطانية بخصوص عزل الملك حتى لا تتدخل لصالحه فاتصل النحاس باشا ومكرم عبيد بالسفارة وحاولا اقناعها بضرورة خلع الملك ، ولكن السفير البريطانى تذرع بالموقف الدولى ، ولما قابل مكرم عبيد السفير البريطانى فى ٣ نوفمبر ١٩٣٧ بهذا الخصوص ذكر له ضرورة التخلص من الملك فاروق وتنصيب ملك جديد مكانه ، ولم يقترح بأى شكل فكرة الجمهورية حيث أن النظام الملكى جزء ساسى من الدستور(٢٧) .

وعندما ألغيت معاهدة ١٩٣٦ وتفجر الموقف السياسى والاجتماعى فى مصر اشتعلت المظاهرات فى المدن المصرية ، وخصوصا فى القاهرة تهتف ضد الملك « ويتردد فيها صدى الهتاف بالجمهورية »(٢٨) .

ويذكر عبد الرحمن الرافعى أن الحركة الفدائية عمت الجامعات

---

(٢٦) صلاح الشاهد : المرجع السابق ص ٣٧ .

(٢٧) د. عبد العظيم رمضان : الصراع بين الوفد والعرش ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ، بيروت — المؤسسة العربية للدراسات والنشر . الطبعة الأولى ١٩٧٩ .

(٢٨) طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ — ١٩٥٢ ص ٥١٣ .

والشوارع والميادين وهتف فى المظاهرات الصاخبة المفاجئة بسقوط الملك فاروق وأسرته كما سمعت هتافات عدائية ضد الملكية لم تكن تسمع من قبل بين صفوف الطلبة والعمال وباقى المواطنين ، وبرغم اغلاق الجامعات والمدارس استمرت المظاهرات العدائية ضد الملك تسير فى الشـــوارع وتهتف الهتافات العدائية ضد الملك والملكية[٢٩] .

---

(٢٩) الرافعى : مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . القاهرة — النهضة المصرية . الطبعة الثانية ١٩٦٤ ص ٧٨ .